الرسالة

(غلاطية ٤: ٢٢–٢٧)

يا إخوةُ إنَّهُ كان لإبرهيمَ إبنانِ أحدُهما منَ الجاريةِ والآخرُ من الحرَّة* غيرَ أنَّ الذي من الجاريةِ وُلِدَ بحسَبِ الجسَدِ أمَّا الذي من الحُرَّة فبالموعِد* وذلك إنَّما هو رمزٌ. لأنَّ هاتين هما العهدانِ أحدُهما من طورِ سيناءَ يَلِدُ للعبوديَّةِ وهو هاجَر* فإنَّ هاجَرَ بل طورَ سيناءَ جبلٌ في ديارِ العرب ويناسبُ أورشليمَ الحاليَّة. لأنَّ هذه حاصِلةٌ في العبوديَّةِ مع أولادها* أمَّا أورَشليمُ العُليا فهي حُرَّةٌ وهي أمُّنا كُلِّنا* لأنَّه كُتِبَ افرَحي أيَّتُها العاقِرُ التي لم تلِد. إهتِفي واصرُخي أيَّتُها التي لم تتمَخَّض. لأنَّ أولادَ المهجورةِ أكثَر من أولادِ ذاتِ الرجُل.

الحبل بوالدة الإله

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ٩ كانون الأوّل لحبل القدّيسة حنَّة، جدَّة الإله، بالكليَّة القداسة سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليَّة مريم. يذكر التقليد الشريف أنَّ القدّيسة حنَّة كانت عاقرًا ومتقدِّمة في السنّ حين حبلت بوالدة الإله، على مثال أليصابات حين ولدت سابق الربّ يوحنّا المعمدان. مريم ويوحنّا، هما الشخصان الوحيدان، إلى جانب المسيح، اللَّذان تحتفل الكنيسة المقدّسة بذكرى الحبل بهما وولادتهما، ذلك لأهميّتهما في القصد الإلهيّ الذي بلغ ذروته بتجسّد ابن الله.

يقع عيد الحبل بالعذراء ضمن فترة التهيئة لميلاد الربّ. يأتي الحبل بالعذراء تحقيقًا لوعد الله بخلاص البشر، إذ مَن حُبِلَ بها هي التي ستحمل الإله في أحشائها وتعطيه جسدًا بشريًّا، ليصير مثلنا ويخلّصنا. لقد تحقّقت كلّ الرموز التي أشار بها أنبياء العهد القديم إلى والدة الإله: «إنَّ أقوال الأنبياء السابقة قد تمَّت، لأنَّ الجبل المقدَّس يستقرّ في الأحضان، والسلَّم الإلهيَّة تنتصب، والعرش العظيم للملك يُهيَّأ، ومكان اجتياز الإله يُعدُّ، والعليقة غير المحترقة قد أخذت في الإفراع، وخزانة طيب التقديس تفيض الآن أنهارًا مزيلةً عقر حنّة المتألّهة العزم التي نغبّطها نحن» (من صلاة غروب العيد)، «إنَّ المصفَّ النبويّ سبق فأنبأ قديمًا عن النقيّة البريئة من العيوب، الإبنة فتاة الله، التي حبلت بها حنَّة وهي عاقر عادمة الثمر، فلنغبّطها اليوم بابتهاج قلبٍ نحن المُخلَّصين بها، بما أنَّها وحدها بريئةٌ من كلّ العيوب» (من صلاة السَّحر).

العدد ٢٠١٨/٤٩

الأحد ٩ كانون الأول

تذكار حبل القديسة حنة

جدّة المسيح الإله

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

تدعو تراتيل العيد جميع المسكونة للإبتهاج: آدم وحوّاء، مصفّ الأنبياء، وأقطار الأرض إضافةً إلى يواكيم وحنَّة. كلّ البشريَّة معنيّة بهذا الحدث العظيم، الذي فيه تتجدّد وتبتهج لأنّ «عار العقر قد زال بجملته». كلٌّ منَّا معنيٌّ شخصياً بموضوع عقر حنّة ثم انحلال هذا العقر واستحالته إثماراً، إذ إنَّ الثمرة هي الفضيلة والعقر هو الخلوّ منها. القدّيسة حنّة هي مثالٌ لنا. مثلما تمّمت أحكام الشريعة بإيمان، فمنّ عليها الربّ الإله بوالدة الإله أمّ الحياة، كذلك إن حفظنا وصايا الله

بأمانة واستقامة سيسكن فينا روح الله ويهبنا الحياة الأبديّة. لذا، نرتّل لوالدة الإله: «يا والدة الإله الكليَّة القداسة أقصي عن ذهني العقيم عدم الإثمار بكلّيّته، وأظهري نفسي مثمرةً بالفضائل، يا غوث المؤمنين».

كانت ولادة العذراء بتدخّلٍ من الله، إلاَّ أنَّ الحبل بها كان بحسب ناموس الطبيعة، وما ورثته عن والدَيها لجهة الطبيعة البشريَّة هو ما يرثه كلّ مولود عن والدَيه: الموت الجسديّ والروحيّ (الخطيئة). هذه الحالة التي تصيبنا جميعًا لا ذنب لأحد منّا فيها، بل ورثناها عن آدم وحوّاء بعدما خطئا إلى الله وسقطا من الحالة الفردوسيّة. هذا ما عبّر عنه الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية بقوله: «من أجل ذلك كأنَّما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى الجميع إذ أخطأ الجميع» (رو ٥: ١٢). تاليًا، العذراء مريم هي واحدة منّا، لا تختلف عنَّا بما ورثناه عن آدم وحوّاء، لذلك سُرَّ الربّ الإله وارتضى أن يتجسَّد منها، وأن يسكن، من خلالها، فينا جميعًا، كونها ابنة الطبيعة البشريَّة التي تحمل كلّ المفاعيل السابق ذكرها ويقدّس طبيعتنا من خلالها. هكذا، مريم العذراء هي باكورة الخليقة الجديدة، حوّاء الجديدة، أمّنا جميعًا، مثلما كانت حوّاء الأولى باكورة الخليقة القديمة.

عام ١٨٥٤ وضع البابا بيوس التاسع عقيدة «الحبل بلا دنس»، التي رفضتها الكنيسة الشرقيّة بحزم. تنصّ هذه العقيدة على أنّ «مريم قد عُصمت منذ اللّحظة الأولى للحبل بها من كلّ دنس الخطيئة الأصليّة، وذلك بنعمة وإنعام فريدَين من الله القدير، ونظرًا إلى استحقاقات يسوع المسيح مخلّص الجنس البشريّ». فَهْمُ هذه العقيدة يستدعي الحديث عن «الخطيئة الأصليّة» بمفهومها الغربيّ، خصوصًا عند المغبوط أغسطينس الذي اعتبر أنّ الخطيئة تنتقل بالوراثة إلى كلّ إنسان يولد من نسل آدم. كلّ إنسان يولد خاطئًا ومنحرفًا ومستَعبدًا للشهوة. أمّا بشأن العذراء مريم، فيقول أغسطينس إنّها تحرّرت كلّيًّا، بنعمة خاصّة، من الخطيئة الأصليّة، وقد منحها الله هذه النعمة عندما وُلدت.

رفضت الكنيسة الشرقيّة عقيدة الحبل بلا دنس بمفهومها الغربيّ ليس إنكارًا لقداسة العذراء، بل لأنّ نظرتها إلى الخطيئة الأصليّة وعواقبها في الإنسان تختلف عن النظرة الغربيّة. لا وجود لعبارة «الخطيئة الأصليّة» في كنيستنا المقدّسة التي تتكلّم على «خطيئة الأبَوَين الأوَّلَين» أو «خطيئة الجدَّين الأوَّلَين»، عن خطيئة آدم وحوّاء. يرفض المستقيمو الرأي مسألة انتقال الخطيئة بالوراثة. آدم وحوّاء خطئا، أمّا نسلهما فيرث فقط ما نتج عن سقوطهما، أي المفاعيل المرافقة للطبيعة الإنسانيّة كالتعب والمرض والموت. هذا ما استلزم الخلاص بالمسيح، إذ تشوّهت الصورة الإلهيّة في الإنسان ووجب إعادتها إلى المثال بقبول الإنسان الحرّ والواعي لهذا الخلاص.

الكنيسة الأرثوذكسيّة، برفضها عقيدة «الحبل بلا دنس» وعصمة العذراء من الخطيئة الأصليّة، تؤكّد في صلواتها على عظمة العذراء ومكانتها الفائقة في سرّ التدبير الإلهيّ: «أيّتها الفائق قدسها والدة

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠–١٧)

في ذلك الزمان كان
يسوعُ يعلّمُ في أحدِ
المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا
بامرأةٍ بها روحُ مرضٍ
منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً
وكانت منحنيةً لا
تستطيعُ أن تنتصبَ
البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ
دعاها وقال لها إنَّك
مُطلَقةٌ من مرضِكِ*
ووضع يدَيهِ عليها وفي
الحال استقامَتْ ومَّجدتِ
اللهَ* فأجاب رئيسُ
المجمع وهو مغتاظٌ
لإبراءِ يسوعَ في السبتِ
وقال للجمع هي ستَّةُ
أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها.
ففيها تأتون وتَسْتَشفون
لا في يوم السبت*
فأجاب الربُّ وقال يا
مُرائي أليس كلُّ واحدٍ
منكم يحُلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ
في السبتِ مِنَ المذودِ
وينطلِقُ به فيسقيهِ*
وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ
ربَطَها الشيطانُ منذ
ثماني عَشرةَ سنةً أمَا كان
ينبغي أن تُطلقَ من هذا
الرباطِ يومَ السبت* ولمَّا

قال هذا خَزِيَ كلُّ مَن كان يُقاومه وفرح الجمعُ بجميع الأمور المجيدةِ التي كانت تصدر منه.

تأمل

لا يمكن لأحد أن يخلّصنا ما عدا الذي خلقنا. ولقد كان بإمكان الرب أن يحقق خلاصنا بطريقة أخرى لأنه العليُّ والكليُّ القدرة. ولكنه اختار أن يلبس طبيعتَنا البشرية وأن يُظهر لنا بمثاله الخاص طريق الحق. ولو أنه اختار أية طريقة أخرى ليخلِّصنا بها لَقُلنا له: «أنتَ الله الكليُّ القدرة ولم تكن يوماً بشراً مثلنا. لم تشعر يوماً بالجوع أو العطش، ولم تكن يوماً حزيناً أو مُغتماً». لهذا لبسَ الله الطبيعة البشرية بكاملها. وقد دوَّن الرسل في الكتاب المقدس أن حياة الرب الأرضية احتوت على لحظات حزينة أكثر بكثير من اللحظات السّارة. لم يرَه أحدٌ يضحك يوماً كما نضحك نحن حين نكون مبتهجين، بل كان مُغتماً على الدوام الإله خلّصينا (بشفاعاتك)». تكمن أهمّيّة العذراء في الـ«نعم» التي قالتها بكامل حرّيّتها وملء إرادتها البشريّة لرئيس الملائكة جبرائيل، عندما بشّرها بالحبل بالمسيح . إختارت العذراء أن تهب نفسها هيكلاً لسكنى ابن الله. علّنا نتعلّم منها كيف يكون التسليم الكليّ والحرّ بين يدَيّ الخالق، ونعرف أن لا خلاص إلاّ بعمّانوئيل، أي عندما يكون «الله معنا».

روح الناموس

نرى مرارًا في الأناجيل الشريفة مواجهةً، إذا جاز التعبير، بين الربّ يسوع من جهة والفرّيسيّين وسائر شيوخ إسرائيل من جهة أخرى في ما يختصّ بـ«تقديس السبت». أولى هذه المواجهات في الإنجيل بحسب لوقا مثلًا، لمّا رأى الفريسيّون تلاميذَ الربّ، يومَ سبتٍ، يقطفون سنابل القمح ويفركونها بأيديهم ويأكلون، فانتهروهم قائلين: «لماذا تفعلون ما لا يحلّ فعله في السبوت؟» (٦: ١-٢). علمًا أنّ التلاميذ، بفعلهم هذا، لم يتجاوزوا ما سمحت به الشريعة: «إذا دخلتَ زرع صاحبك فاقطف سنابل بيدك ولكن منجلاً لا ترفع على زرع صاحبك» (تث ٢٣: ٢٥). أيضًا، التحريمات التي أضافها علماء الناموس فيما بعد، ومنها عن موضوع الحصاد ودرس السنابل، لم تذكر أمرًا مماثلاً. كان ردّ الربّ بالحجّة من تاريخهم، فذكّرهم بما «فعله داود، حين جاع والذين كانوا معه»، لينقل المواجهة إلى مستوى أكثر حسمًا عندما أضاف: «إنّ ابن الإنسان هو ربّ السبت أيضًا». لم يتحدَّ الربّ الشريعة بل تقاليد الناموسيّين الذين هم أنفسهم نقضوا الشريعة.

تأتي هذه الحادثة، في الإصحاح نفسه من الإنجيل بحسب لوقا، بعد معجزة شفاء رجل كانت يده اليُمنى يابسة، الأمر الذي تمّ أيضًا يوم سبت (٦: ٦-١١). ثمّة إشارة لافتة في هذا المقطع: «كان الكتبة والفرّيسيّون يراقبونه هل يشفي في السبت، ليجدوا عليه شكاية»، أي أتَوا من أجل الشكاية لا من أجل «تقديس يوم الربّ»، فباتوا إذًا متعَدّين على السبت، عن سابق تصوّر وتصميم! لذا، بادرهم الربّ، قبل إتمام الشّفاء، بالسؤال عن فعل الخير أو الشرّ، عن تخليص نفس أو إهلاكها، أوّلًا للإعلاء من شأن الإنسان فوق حرفيّة النصوص (التي شوّهوها أصلًا)، ثانيًا لإظهار غِيِّهم للعلن. أمّا الدليل على أنّ قصدهم الأساسيّ كان الحسد، فهو ما يُختَمُ به المقطع الإنجيليّ، أنّهم ابتدأوا من تلك الساعة يتآمرون على يسوع. العبرة لنا هي نفسها اليوم، مثلما كانت لأولئك آنذاك: غاية الشرائع والنواميس الإلهيّة كلّها هي الخير وخلاص الإنسان، وكلّ ما عدا ذلك هو تشويه أو سوء فهم في أفضل الأحوال.

أيضًا، يحتوي المقطع الإنجيلي المتلوّ علينا اليوم على مشهد آخر من مشاهد المواجهة نفسها، إذ شفى الربّ يسوع، يوم السبت وفي المجمع، امرأة «بها روح ضعف (أي لديها إعاقة) ثماني عشرة سنة، وكانت منحنيةً لا تقدر أن تنتصب البتّة». أغلب الظنّ أنّها كانت تعاني من اعتلال في الجهاز العصبيّ يحلّ عضلات الظهر، الأمر الذي يؤدّي إلى الإنحناء وتفكّك بعض فقرات العمود الفقريّ في الحالات المزمنة. رمزيًّا، يرى آباؤنا القدّيسون في هذه المرأة صورةَ

النَّفس التي ثقلت بالخطيئة فارتبطت بالأرضيّات، بَيد أنّها تشتهي التوبة بدليل أنّها أتت إلى بيت الله تنشدُ الشّفاء. ما إن رآها الربّ يسوع حتّى تحنّن عليها وشفاها، و«في الحال استقامت ومَجَّدت الله». أمّا رئيس المجمع، فبدلاً من أن يفرح بشفاء المسكينة وبتمجيدها الله، إغتاظ وتوجّه إلى الجمع منتحلًا صفة الغيور على الناموس الإلهيّ (تث ٥: ١٣–١٤) تزويرًا. لعلّه، ضمنًا، كان يقصد الربّ يسوع بغيظه ولم يجرؤ على مواجهته. دومًا، كان الربّ يسوع حافظًا للسبت في معناه الحقيقيّ وكان يشترك خلاله في المجامع، لأنّه يوم عبادة وعلامة بين الله وشعبه: «سبت عطلة مُقَدَّس للربّ» (خر ٣١: ١٥)، ودعوة لقداسة الشعب. لكي يُحفَظَ السبت بمعناه الحقيقيّ، غالبًا ما ردّد الربّ أنّ «السبت إنّما جُعل للإنسان لا الإنسان لأجل السبت»، ولأجل هذا المعنى الحقيقيّ بالذّات شفى المرأةَ المسكينة في اليوم المُقَدَّس للربّ، وفي البيت المُقَدَّس للربّ. من أجل خير الإنسان قدَّس الربّ الأزمنة والأمكنة، وابنة إبراهيم التي كان قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنةً، «كان يَنبَغي» أن تُحلّ من رباطها يوم السبت. لم يقُل الربّ: «كان يجوز أن تُحَلّ»، بل: «كان ينبغي أن تُحَلّ»، وكأنّه، له المجد، أراد التشديد بهذه الكلمة على أنّ كلّ شرائع الله ونواميسه غايتها الإنسان وخلاصه. شُفيَت المرأة المسكينة بكلمة الربّ ولمسة يديه، وكان طبيعيًّا لو أنّها طفقت تصفّق أو حتّى ترقص فرحًا، لكنّها «مَجَّدَت الله»، والإشارة إلى هذا، في النصّ الإنجيليّ، ليس عَرَضًا أو من باب السرد الروائيّ. أليس السبت «دعوة لقداسة الشعب»؟

يقول آباؤنا القدّيسون في تفسيرهم الرمزيّ إنّ الإنسان، متى حُلّ بالتوبة من رباط الخطيئة، يستقيم حُكمًا ويُمَجّد الله. كما أنّ شفاء المرأة لم يقتصر على صحّتها الجسديّة بل ملأها فرحًا مُقَدَّسًا لتُمَجّد الله، هكذا لم يقتصر الشفاء على صاحبة الدّاء وحدها. الذين كانوا يُعاندون الربّ يسوع (لعلّ رئيس المجمع منهم) أُخجلوا، أي عادوا إلى ذواتهم وندموا، و«فرح كلّ الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه» أي امتلأوا هم أيضًا بالفرح المُقَدَّس ومَجَّدوا الله.

المسنّون يزورون المغاوير

بمناسبة مرور ٧٥ سنة على استقلال لبنان، أقام مركز «Vieillir Avec Plaisir» زيارة إلى ثكنة فوج المغاوير في روميه تحت عنوان «مين قال الإستقلال مش عَ إيّامنا»، وذلك نهار الجمعة ٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٨.

تخلّل الزيارة عرض عسكريّ وفيلم وثائقيّ عن مناورات الفوج، ومشاهد حيّة من الحروب التي خاضها المغاوير، ومعرضًا خاصًّا بصور شهداء الفوج وأسلحتهم.

فرح المسنّون بلقاء أبطال فوج المغاوير وقدّموا لهم تذكارًا علمَ لبنان موقّعًا من قِبَل جميع أعضاء المركز، إضافةً إلى أيقونتين واحدة للسيّد المسيح والثانية للقدّيس ديمتريوس شفيع مركز VAP.

بسبب خطايانا، وقد حملها كلّها. وما زال يحمل اليوم أيضاً عبء خطايانا. لكننا لم نقبله رغم أنه كان إنساناً مماثلاً لنا في كل شيء، بالطبع ما عدا الخطيئة.

... يقول البعض إنهم ملحدون ولكن لا وجود للملحدين... لا وجود لهذا الأمر. لأنه حتى الشيطان يؤمن ويرتعد (راجع يع ٢: ١٩) لكنه يرفض أن يفعل الخير. لا وجود لشخص لا يؤمن بالله، وليس من إنسانٍ عاقل على سطح الأرض لا يتوق إلى الحياة من كل قلبه. نحن نبذل كلّ ما نستطيع لكي نعيش إلى الأبد. كلنا نتوق إلى المحبة الكاملة، المحبةِ التي لا تتغيَّر على الإطلاق بل تدوم إلى الأبد. الله هو الحياة وهو المحبة والسلام والفرح. هناك مَن يعارضونه ولكنهم لا يقدرون أن يسيئوا إليه. نحن نعقِّد حياتنا بأنفسنا، بأفكارنا السلبية.

الشيخ تداوس الصربي